

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[282] لآخر لبيان سهولة الأمر عليه : إشرب هذا القدر من الماء حتى انهي هذا العمل ويريد بذلك بيان سهولته، لا أن الآخر يجب عليه أن يشرب الماء. وأستدل أنصار النظرية الثانية بكلمة (فصرهنّ إليك) وقالوا إن هذه الجملة إذا كانت متعدية بحرف (إلى) فتكون بمعنى الأنس والميل، فعلى هذا يكون مفهوم الجملة أنّه (خذ هذه الطيور وأنسهى بك) مضافاً إلى أن الضمائر في (صرهنّ) و (منهنّ) و (ادعهنّ) كلّها تعود إلى الطيور، وهذا لا يكون سليماً إلا إذا أخذنا بالتفسير الثاني، لأنّه على التفسير الأوّل تعود بعض هذه الضمائر على نفس الطيور وتعود البعض الآخر على أجزائها، وهذا غير مستساغ في الاستعمال. الجواب على هذه الاستدلالات سيأتي ضمن تفسيرنا للآية الشريفة ولكن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الآية تبين بوضوح هذه الحقيقة، وهي أن إبراهيم (عليه السلام) طلب من الله تعالى المشاهدة الحسية للمعاد والبعث لكي يطمئن قلبه، ولا شك أن ضرب المثل والتشبيه لا يجسد مشهداً ولا يكون مدعاة لتطمين خاطر، وفي الحقيقة أن إبراهيم كان مؤمناً عقلاً ومنطقاً بالمعاد، ولكنّه كان يريد أن يدرك ذلك عن طريق الحس أيضاً. والآن نبدأ بتفسير الآية ليتّضح لنا أي التفسيرين أقرب وأنسب : (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تموتى). سبق أن قلنا إن هذه الآية تكملة للآية السابقة في موضوع البعث، يفيد تعبير (أرني كيف...) أنّه طلب الرؤية والشهود عياناً لكيفية حصول البعث لا البعث نفسه. (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن لم يطمئن قلبي). كان من الممكن أن يتصور بعضهم أن طلب إبراهيم (عليه السلام) هذا إنّما يدل على تزلزل إيمان إبراهيم (عليه السلام)، وإزالة هذا التوهّم أوحى إليه السؤال : "أو لم تؤمن؟"